أبطال الإسلام

زيد بن حارثة
الفارس الشجاع

الدكتور
طارق البكري

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

زيد بن حارثة

الفارِسُ الشُّجاع

ليسَ من بَيْنِ الصَّحابةِ رضي الله تعالى عنهم مَنْ نَالَ الشَّرَفَ العَظيمَ الذي نالَهُ حَيّاً ومَيْتاً..

فاسمُ زيدٍ هذا أصبحَ في القُرآنِ الكريمِ تَتْلوهُ الأَلْسُنُ حتى قيامِ الساعةِ ، في الصلاةِ، وفي التِّلاوةِ.. وفي القُلوبِ.

وسامٌ عظيمٌ زَيَّنَ صَدْرَ هذا الفارسِ

المِقْدامِ... يُضَاف إلى أَوْسِمَةٍ كثيرةٍ ، أهداه إياه الرسولُ الكريم ﷺ ، ليُبيّنَ لنا مَكانةَ هذا الصحابيِّ الجَليلِ ، الذي قيل إنهُ أولُ من أسْلَمَ من الرجالِ ، أو الغِلمانِ.. أو من الأوائلِ الذين كَرَّمهمُ اللهُ تعالى بصُحْبَةِ خيرِ البشَر.

وأعلى ما ناله زَيْدٌ من أَوْسِمَةِ النبيِّ ﷺ ، أنه كان يُنْسَبُ إليه قبل الإسلام ، فقد كان ذلكَ من عادةِ العَرَبِ ، حيث يَعُدّونَ التبنّي من شِيمِ الأَحرارِ ، لكنَّ الإسلامَ أبْطَلَ هذهِ العادةَ كيلا تَخْتَلِطَ الأنسابُ..

ففي يومٍ نادى النبيُّ ﷺ ، وكان زَيْدٌ مولى له ، اشتراه في وقتٍ سابقٍ ، وقال لمعْشَرِ قُريشٍ:

«يا مَنْ حَضَرَ.. اشْهَدوا أنّ زَيداً ابني: أرِثُهُ ويَرِثُني» وصار يُعْرَفُ باسم زَيْدِ بنِ محمد إلى أن نَزَلَتِ الآيةُ الكريمةُ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] وعاد يُعْرَفُ باسمِه الأولِ: «زيد بن حارثة».

ويروى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ النـاسِ إلـيَّ مَـنْ أَنْعَـمَ اللهُ عليـه - أي بالإسلام - وأَنْعَمتُ عليه» أي بالحريةِ لأنه كان مولى للنبيِّ ﷺ.

كَرّمَ النبيّ ﷺ زيداً بمرافقتِه إلى الطائفِ يُريدُ دعوةَ أهلِها إلى الإسلام، بعد ما أصابه من إصرارِ قريشٍ على الكفرِ، لعلَ اللهَ يَهدي قبيلةَ «ثَقيف» في الطائِف.. ولازَمَهُ زَيْدٌ في رِحْلَتِهِ، وأصابَه

ما أصابَ النبيَّ من تَعَرُّضِ السُّفَهاءِ له بالأذى والصُّدود.. وسَجَّلَ في ذاكرتِه هذه الرحلةَ العظيمةَ التي تَذْكُرها كتبُ التاريخِ والسيرةِ بتفاصيلها ، فلا يغيبُ زيدٌ عن أحداثِها.

وظلَّ زيدٌ يعيشُ تحتَ ظِلِّ النبيّ ﷺ ، يُقاسي ما يُقاسِيهِ ، ويَسْعَدُ بسَماعِ ما يأتيهِ من الوَحيِ، ويَفرحُ بخِدْمةِ النبيّ ورِفقتِهِ..

كان حَريصاً على الإنصاتِ لكلِّ ما يقوله النبيّ ﷺ ، ومراقبةِ أفعالِه ، وتقليدِهَا.. فهو الأسوةُ الحَسنَةُ ، وحَبيبُ القلبِ.. وقُرّةُ العَينِ.

وجاء الأمرُ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

لبّى زَيدٌ نداءَ المدينةِ.. مستجيباً للأمرِ.. وتَركَ حَبيبَ قلبِه في مكةَ مُترقِّباً وصولَهُ ﷺ المدينةَ بكلِّ اصْطِبارٍ.

وما أن وَصَلَ النبيُّ إلى مكةَ حتى عادَ زَيدٌ لخدْمةِ الرسولِ، ولمتابعةِ تفاصيلِ حياتِهِ للاقتداءِ بها.

قاتل زيدٌ تحتَ رايةِ الإسلامِ بكل شَجاعَةٍ وبَسالةٍ ، وأرسلَهُ الرسولُ ﷺ قائداً لمجموعةٍ من السرايا قيل إنها تِسْعُ سَرايا.

وكانت السيدةُ عائشةُ أمُّ المؤمنينَ رضي اللهُ عنها تَقولُ:

«ما بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ زيدَ بن حارثَةَ

في جيشٍ إلا أمّرهُ عليهم ، ولو بقي بعدَه استَخْلَفَهُ».

وإلى ذلك تُشيرُ السيرةُ ؛ إلى أنّ النبيّ ﷺ استَخْلَفَ زيداً على المدينة مرّتين ، عند خُروجِهِ إلى غَزوةِ بواط في السنةِ الثانيةِ للهجرةِ ، وعند خروجِه إلى غزوة بني المصطلقِ في السنةِ الخامسة للهجرة.

بَرَزَ زيدٌ في المعارِكِ ، وكان في معركةِ بَدْرٍ من الرُّماةِ ، وقَتَلَ من المشركينَ عَدَداً وَفيراً.. وبعد أنْ انتصرَ جيشُ المسلمين في تلكَ المعركةِ ، لم يُهْمِلْهُ ﷺ ليرتاحَ ، فقد اختارَه هو وعبدُ الله بنُ رواحةَ رضي اللهُ عنه

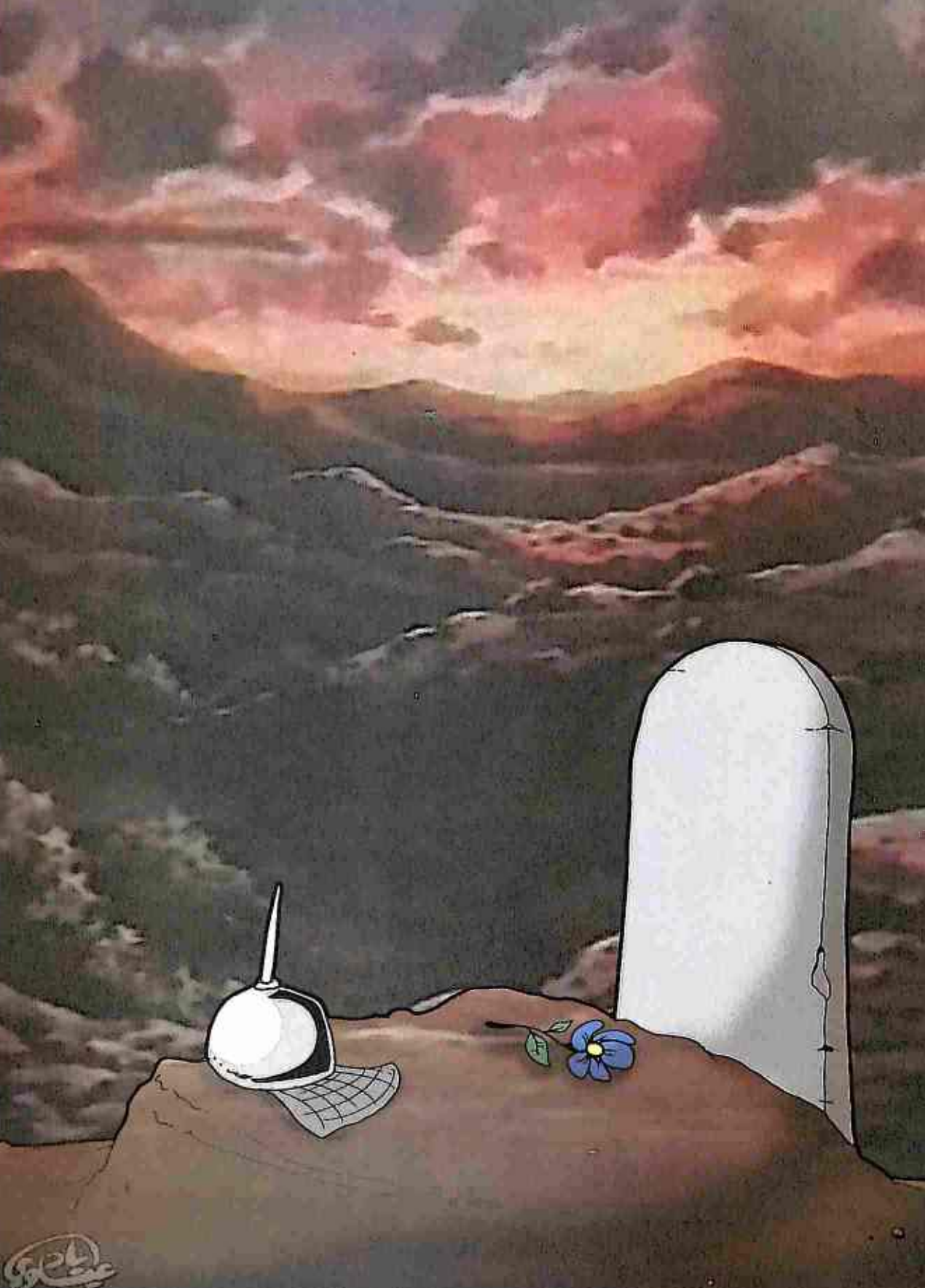

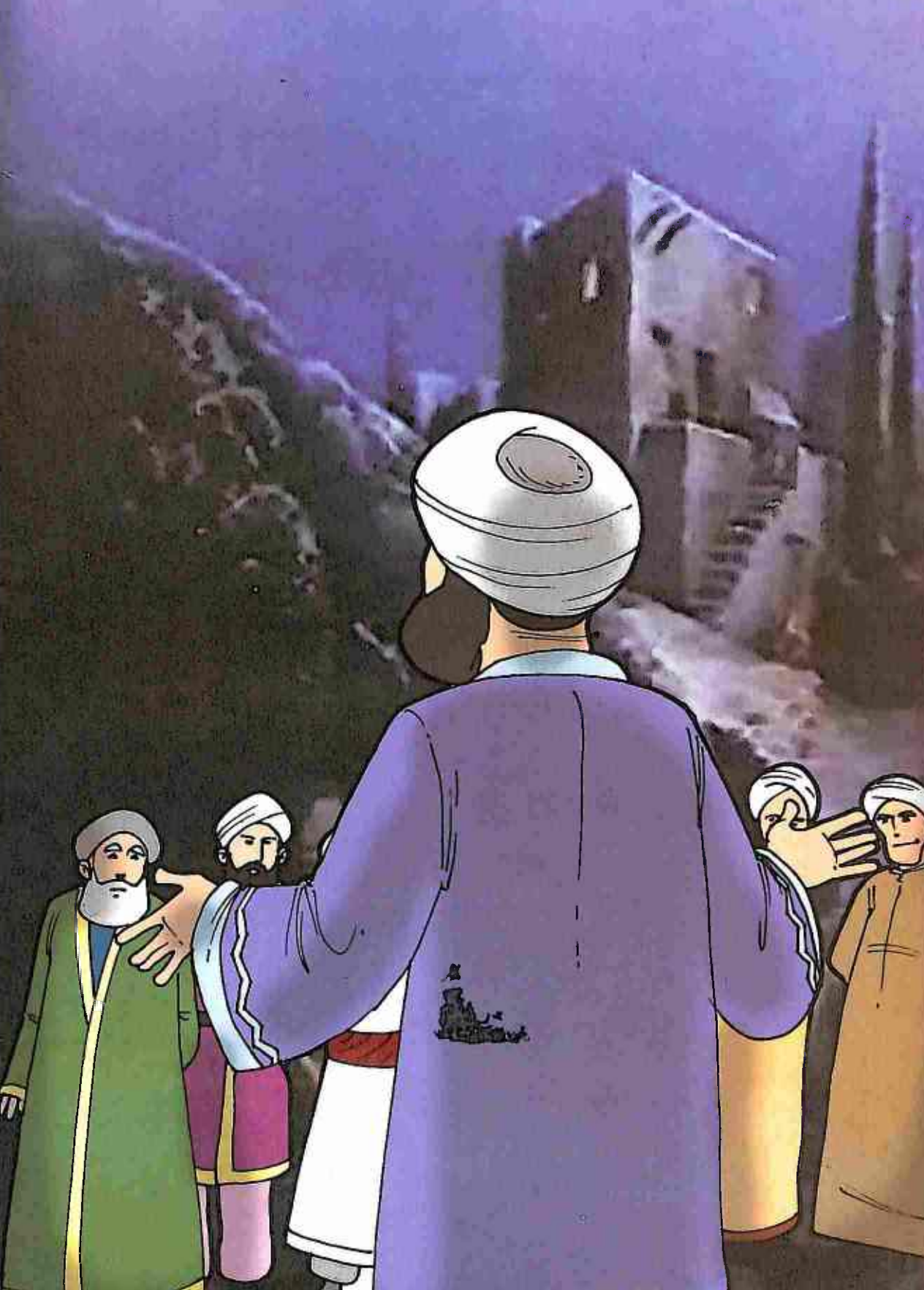

ليسبقوا الجيشَ الظّافِرَ إلى المدينةِ ويُبَشّروا المسلمين ـ الذين ظَلّوا في المدينةِ ـ بالنصرِ المبينِ.

وكان لوصولِ المبشِّرَين وَقْعٌ كبيرٌ في المدينة ، ذلك أنَّ المشركين أذاعوا أنّ النبيَّ ﷺ قُتِلَ ، وأنّ المسلمين خَسِروا المعركةَ وتَفَرَّقوا..

واستمرّ زيدٌ في حَربِه ضدّ الكُفرِ ، هَمُّهُ الدائمُ رَفْعُ رايةِ الإسلامِ ، والدفاعُ عن عقيدتِه ، وكانتْ نَفْسُه تسعى للآخرةِ ، ويتمنّى الشهادةَ لينالَ المراتبَ العُليا.

لم يَخَفْ زيدٌ يوماً من الموتِ ، ولم يتقاعَسْ لحظةً واحدةً ، حتى عندما كان النبيّ يستخلفُه في المدينة ، كان قَلْبُه

دائماً في أرضِ المعركةِ ، حتى كَتَبَ اللهُ له الشهادةَ لِتُضافَ إلى أوْسِمَتِهِ الكثيرةِ.

في السنة الثامنةِ للهجرةِ المباشرة سَجَّلَ التاريخُ استشهادَ هذا القائدِ العظيمِ في سَنَواتٍ قليلةٍ أثبتَ فيها جَدارةً كبيرةً ، أثمرتْ إنجازاتٍ لا يفعلها كثيرٌ من الناس في حياةٍ قد تمتدُّ لمئةِ سَنَة.

كيفَ لا؟! وقد تربّى زيدٌ في مدرسةِ النبوةِ ، ونَشَأ في ظِلِّ رَجُلٍ لم تعرفِ البَشرِيّةُ مثيلاً له.. وكان قَلْبُه يَخْفقُ حبّاً وطاعةً للنبي ﷺ ، فيما نَفْسُه تَتوقُ للشّهادَةِ.

في السنةِ الثامنةِ للهجرةِ ، وكان عُمُرُ زيدٍ في حدُودِ الخمسينَ سنةً ، والرسولُ

ﷺ في الستينَ تقريباً ، كتبَ اللهُ لزيدٍ الشهادةَ... لم يكنْ استشهادُه شيئاً عاديّاً..

تَروي كتبُ السيرةِ أنّ النبيَّ ﷺ وَجَّهَ زيداً على رأسِ سَرِيّةٍ إلى مؤتةَ قِوامُهَا ثلاثةُ آلافِ رجلٍ من أشجَعِ الفُرسانِ ، وسَبَبُ هذهِ السريةِ أنّ الرسولَ الكريمَ كان يُرسلُ موفدين إلى ملوكِ وأمراءِ البلادِ المجاورةِ ، يدعوهم إلى الإسلامِ ، وعندما وَصَلَ مُوفَدُهُ الحارثُ بنُ عُميرٍ الأزْدِيُّ إلى مؤتة ، تَعَرَّضَ له رجلٌ من غَسّان وقَتَلَهُ ، فأعدَّ الرسولُ السَّريَّة ، وقال لهم: «أميرُ الناسِ زَيْدُ بن حارِثَةَ ، فإنْ قُتِلَ فَجَعْفَرُ بن أبي طالبٍ ، فإنْ قُتِلَ فعبدُ اللهِ بنُ رواحة ،

فإن قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم».

وأعطى الرسولُ الكريمُ اللواءَ لزيدٍ، وأمرهُ بقَتلَةِ مُوفَدِهِ الحارثِ، يدعوهم أولاً إلى الإسلام، وإلا فالقتالُ.

وعندما وَصَلَ جيشُ المسلمين إلى مدينةٍ بِطَرَفِ الشامِ تدعى (مُعان)، وجدوا أنّ الكفارَ قد جمعوا لهم نَحواً من مئةِ ألفِ مُقاتِلٍ.

لم يَخْشَ جيشُ المسلمين جَحَافِلَ العدوِّ عُدَّةً وَعَدَداً، بل أصَرّوا على السَّيرِ قُدُماً نَحْو مؤتةَ كما أمرهمُ النبيُّ ﷺ وعلى تلكَ الأرضِ الطاهرةِ حَدَثَتْ واقعةٌ عظيمةٌ، من أشْهَرِ المعاركِ الإسلاميةِ،

وأشَدِّها على المسلمين.

جيشٌ لا يتعدّى الثلاثةَ آلافِ رجلٍ ، يُجابِهُ جَيْشاً جَرّاراً.. يَزيدُ عن المِئةِ ألفٍ.. هـذا واللهِ شـيءٌ عَجيـبٌ ، لكنـه الإيمـانُ الصلْبُ وحُبُّ الشهادةِ ، والاستبسالُ في سبيـلِ اللهِ.. إنـه الإيمـانُ الحقيقـيُّ الـذي يَجْعَلُ من صاحبِهِ قوةً لا يُسْتَهانُ بها مهما كانت الصِّعابُ.

انطلقَ جيشُ المسلمين.

قاتلوا بقوةٍ وصَلابَةٍ لا تَلِينُ... أَنْـزَلوا بالعدوِّ خسائرَ فادِحَةً ، رغمَ أنهم كانوا أقَلَّ عدداً وعُدّةً ، ومُنْهَكِينَ من السفرِ لمدةٍ طويلةٍ في الصحراء.

التقى جيشُ الإسلام وجَيشُ الكُفْرِ

ودارتِ المعركةُ ، وطارَ الغُبارُ فوق الرؤوسِ ، ولم يَعُدْ يُسْمَعُ إلاّ قَرقعة السيوفِ وحوافِرِ الخيولِ وصَهيلُها.

وانطلق زيدٌ كالسدِّ الهائجِ واللواءُ بين يَدَيْهِ ، يُقاتلُ بكلِّ صَلابةٍ وجَأْشٍ.

شاهَدَ الكفارُ هذا الفارِسَ البَطَلَ ، لم يكن أحدٌ يُجابِهُهُ حتى يَسْقُطَ أمَامَه.. وكان غَدرُهم أنْ قتلوه طعْناً بالرِّماحِ بعدما خَشوا مُقارعتَهُ بالسُّيوف.

وقضى اللهُ تعالى أن يُسْتَشْهَدَ في هذه المعركةِ ثلاثةٌ من كبارِ الصحابةِ ، الذين أوصى رسولُ اللهِ ﷺ لهم باللواءِ ، وهم إضافةً إلى زيد: جَعْفَرٌ وابنُ رواحَةَ رضي اللهُ تعالى عنهم أجمعين.

ولما علمَ رسولُ اللهِ ﷺ باسْتِشْهَادِ جَعفر ، وزيدٍ بكى وقال: «أخَواي ومُؤْنِساي ومُحَدِّثاي».

وقد دعا الرسولُ بعدَ استِشْهادِ قادَتِه قائلاً: «اللهمَّ اغْفِرْ لزيدٍ... اللهم اغفرْ لزيدٍ.. اللهمَّ اغفرْ لزيدٍ... اللهم اغفر لجعفر وعبدِ الله بنِ رواحة».

وهكذا خَصَّ الرسولُ ﷺ زيداً بثلاثِ دَعواتٍ متتالية ، فيما خَصَّ جعفراً وابنَ رواحةَ بدعوةٍ واحدةٍ مشترَكَةٍ ، وهذا دليلٌ على مكانةِ زيدٍ من رسولِ اللهِ ﷺ.

ورَحَلَ زيدٌ رضيَ اللهُ عنه بعد أَنْ تَرَكَ تاريخاً مُشَرِّفاً ، وحملَ على صَدْرِه أوسِمَةً عظيمةً.

وقَدَّرَ اللهُ سبحانه وتعالى ألا يَسْتَتِرَ اسمُ زيدٍ حتى بَعْدَ وفاتِه ، حيث ظهرَ ابنُه أسامةُ من بَعْدِه ، أصغر قائدٍ لجيشِ المسلمين ، وكان من أشهَرِ فرسانِ المسلمين الشبابِ.

* * *